دراسة مقارنة في منهجية كتب تاريخ الأدب العربي نحو إشكالية المنهج الزمني
جرجي زيدان، وحنا الفاخوري، وشوقي ضيف أنموذجاً

رؤيا محمدي الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها– دائرة التربية والتعليم– فارس– إيران
حسين كياني أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية و آدابها–جامعة شيراز–إيران
محمد أحمد زكي أستاذ مساعد قسم اللغة العربية – جامعة بابل – العراق

A comparative study of the methodology of literature history books in dealing with the challenges of the historical method: A case study of the books of Jurji Zaidan, Hanna Al-Fakhouri and Shoghi Zeif

Dr.Roya Mohammadi
PhD graduate in Arabic language and literature,
Department of Education , fars, Iran

Dr.Hossin kiani
Associate porofessor in Arabic Language and Literature, shiraz university,shiraz, Iran

Mohammad ahmed zaki
assistant Professor of Arabic language and literature,
university of babylon, Iraq

Email : hkyanee@Yahoo.com :البريد الإلكتروني

Abstract:
The political approach has dominated the writing of the history of Arabic literature. The followers of this approach believed that this approach does not enable them to write the history of Arabic literature and this approach does not fulfill the right of literary studies well. Because of this, they sometimes left the scope of this approach and turned to other approaches
By applying the complete induction method and qualitative content analysis, the present study examines the problems related to political approach in the books " History literature of Arabic language " by Gorgi Zaidan, History of Arabic lireture" by Shoghi zeif, *"Compendium of Arabic Literature* and *its History"* by *Hana Al-Fakhouri* ,the most famous books compiled based on political approach. It has also attempted to investigate the secondary approaches reflected in the books in addition to political approach.
It was finally concluded that the political approach is not an accurate approach in these books and the existent problems and obstacles in political approach led the authors to apply other approaches like literary genres, climatic, ethnic and literary schools approaches besides political approach, but these approaches made some problems for them like segregating the works of one literator, the repetition of some literators and ignoring some works of literators.
Key words: Secondary approaches, Political approaches, Gorgi Zaidan, *Hana Al-Fakhouri*, Shoghi zeif.

الملخص:

ساد المنهج الزمني على تدوين تاريخ الأدب العربي. ورأى أصحابه أنّ هذا المنهج لم يكن ليمكّنهم من التوفيق في تدوين تاريخ الأدب العربي، وأنّ هذه الطريقة لم تعد تفي بحق دراسة أدبية لهذا انطلقوا حيناً من حدود هذا المنهج وتمسّكوا بمناهج أخرى. هذا البحث يهدف خلال المنهج الاستقرائي الكامل ومنهج تحليل المحتوى الكيفي إلى تسليط الضوء على إشكاليات المنهج الزمني في كتاب«تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان، و«الجامع في تاريخ الأدب العربي»لحنا الفاخوري و«تاريخ الأدب العربي»لشوقي ضيف، معالجاً المناهج المساعدة التي خلت في هذه الكتب التي تعدّ من أشهر الكتب التي تؤرخ للأدب العربي حسب المنهج الزمني.

ووصل البحث إلى أنّ المنهج الزمني لايحقق المنهج السليم فيها. لهذا تمسك كل منهم بمناهج أخرى كالمنهج الإقليمي، ومنهج الفنون الأدبية، ومنهج الجنس ومنهج المذاهب الفنية. لكنّ تمسكهم بالمناهج المساعدة قد وقعهم في مخاطر أخرى يمكن حصرها في التجزئة، والإهمال والتكرار.

الكلمات الدليلية:المنهج الزمني، المناهج المساعدة، جرجي زيدان، حنا الفاخوري، شوقي ضيف.

١-المقدمة

١-١-تحديد الموضوع

غلب منهج التقسيم الزمني على تاريخ الأدب حتى صار مألوفاً لدى الكتّاب، شرقاً وغرباً. فمنذ أن وضع أندري دوشيسون[١] كتابه «تاريخ فرنسا الأدبي» سنة ١٧٦٨م منتحياً هذا المنهج، أخذ معظم المؤرخين، منهج التقسيم الزمني في أعمالهم الواحد بعد الآخر. وقد أخذ بهذا المنهج في الأدب العربي جمع من المستشرقين والكتّاب العرب، وجاءت تواريخهم مقسمة إلى عصور أدبية تتّفق والعصور السياسية في التاريخ العام.[٢] إذن فالمنهج الزمني هو المنهج الغالب على تاريخ الأدب العربي، لكنّه قد جعل أصحابه يصطدمون بقضايا عديدة لأنّه منهج استشراقي ابتدعه المستشرقون فيما أرخوا به للأدب العربي من مؤلفات. لذلك فإنّ المؤلفات التي وضعها أصحابها حسب منهج التقسيم إلي العصور كانت هجينة في نسبتها إلى الأدب العربي، لأنّ تاريخ الأدب ليس فناً عملياً يحذو فيه الناس بعضهم حذو بعض وإنّما هو من قبل الحوادث المعنوية التي تختلف من شعب إلى شعب ومن أدب إلي أدب، فإنّ طبيعة الأدب العربي نفسها لاتسمح أن يؤرخ للأدب العربي بمثل هذا المنهج. فطبيعة الأدب العربي تختلف عن طبائع سائر الآداب.[٣] إضافة إلى هذا ما أنتجه المستشرقون في مختلف حقول المعرفة الإنسانية يندرج ضمن إطار تعزيزوتقوية المركزية الأوروبية. إذن التاريخ الأوروبي هو المركز وما عداه مجرد هوامش لذلك فإنّ التاريخ الاستشراقي للأدب العربي محكوم بالمركزية الأوروبية، كثيراً ما ينظر إلى مباحث تاريخ الأدب وقضاياه وعلومه في علاقتها بأصول يونانية أو هندية أو أوروبية عموماً. من هذا المنظور سيقرأ الغرب عموماً والمستشرقون خصوصاً تاريخ الأدب العربي وسيعتمد في ذلك على الأدوات المنهجية التي اعتمدها في قراءة تراثه الخاص. وسينظم المعارف الأدبية وفقاً لتوقعاته وانتظاراته منه، وينفذ إلى هويته ليبرز فيها ما يشاء ويخفي ما يشاء.[٤]

---

١ Andre Duchesne

٢ الواد، حسين، في تاريخ الأدب مفاهيم و مناهج، ط٢، دارالفارس للنشر و التوزيع، الأردن، ١٩٩٣، ص١٤٠.

٣ الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب(أ)،ضبطه عبدالله المنشاوي و مهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، لا.ب، د.ت، ص١٤-١٣.

٤ مريني، محمد، "التاريخ الاستشراقي للأدب العربي و إشكالية المركز و الهامش"، د.ت، المأخوذة من الموقع العنكبوتي التالي:http://aladab.minanblog.com/post/97 ، ص١٠.

استهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على إشكاليات المنهج الزمني في أمهات كتب تاريخ الأدب العربي التي تعدّ من أشهر الكتب التي تؤرخ للأدب العربي حسب المنهج الزمني. وهي كتاب«تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان، و«الجامع في تاريخ الأدب العربي»لحنا الفاخوري و«تاريخ الأدب العربي»لشوقي ضيف، معالجاً المناهج المساعدة التي استمدت منها لسد الفراغ الذي أوجده المنهج الزمني. يبدو أنّ المنهج الزمني لايحقق المنهج الصحيح في الدراسات الأدبية لهذا تمسك كل من جرجي زيدان، وضيف والفاخوري بمناهج أخري خلال هذا المنهج الزمني الذي سيطر على كتبهم الثلاثة، يهدف هذا البحث إلى الكشف عن هذه المناهج المساعدة.

١-٢-خلفية البحث

بالنسبة إلى إشكاليات المنهج الزمني والمناهج المساعدة التي قد دخلت في المنهج الزمني في هذه الكتب الثلاثة فلا نكاد نحصل على دراسة وافية للموضوع فيها، إلّا أنّه ثمة دراسات تمّ إنجازها في تقسيم تاريخ الأدب ومناهجه وخاصة المنهج الزمني؛ فيمكن الإشارة إلى:

– فيصل (١٩٦٥ م) خلال كتابه يتطرق إلى مناهج تقسيم تاريخ الأدب العربي ويرى أن للوصول إلى رؤية مبتعدة عن الخطاء يجب أن نستخدم مختلف الطرق التي يأخذ بعضها برقاب بعض حتى يحقق الهدف الأبعد.[١]

– حسين الواد (١٩٩٣ م) هو يدرس في كتابه منهج مؤرخي تاريخ الأدب العربي والطرق التي لجؤوا إليها في مؤلفاتهم و يتحدث عن الوحدات الغرضية، والزمنية والفنية. و يرى أنّ هذه الوحدات لا تمكّن أصحابه من السيطرة على التحول في تاريخ الأدب، فقد كانت في كل منها مزايا وقضايا ظاهرة.[٢]

– أفضلي (١٣٨٢ ش) يتطرق إلى التقسيم السياسي لتاريخ الأدب العربي في مقالته إلّا أنّه لايفصل الكلام بل يمرّ عليه سريعاً وقد تمّ نقد وتحليل التقسيم السياسي في هذه المقالة في غاية الإجمال. وفي النهاية يستنتج أنّ تاريخ الأدب فرض عليه أن يقوم بتسجيل التغييرات التي طرأت على معنى الأدب طوال العصور.[٣]

– سيدي (١٣٨٩ ش) يهتمّ بمناهج تقسيم تاريخ الأدب العربي ويصل أخيراً إلى أنّ لكل هذه المناهج ميزات ومآخذ ولايمكننا أن نعتمد على منهج واحد في تقسيم تاريخ الأدب.[٤]

– زيغمي(٢٠١٦م) تدرس هذه الأطروحة إشكالية المناهج التي وظّفت في كتابة تاريخ الأدب العربي وأخيراً وصلت إلى أنّ عديداً من المهتمين بتاريخ الأدب العربي فضّلوا الاكتفاء بالمواضعات المنهجية التي تنمطت منذ مطلع القرن العشرين؛ وصارت تقليداً ومثالاً يحتذي كلّما أراد أحدهم أن يؤلف في تأريخ الأدب العربي، واستمر الحال حتى عند كبار الأكاديميين، الذين ظنّوا أنّهم أتوا بجديد في المنهج، غير أنّ أعمالهم اتّسمت في الغالب بنمطية معهودة في دراسات أدبية مع بعض التحسينات في مجال التوثيق العلمي وتفضيل مسارات المراجع والمستندات التاريخية.[٥]

---

١ فيصل،شكري، مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي عرض و نقد و اقتراح، ط٦، دارالعلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦.

٢ الواد، حسين، في تاريخ الأدب مفاهيم و مناهج.

٣ أفضلي، علي، «نقد و بررسی دوره بندی سياسی تاريخ ادب عربی»،*پژوهشنامه نقد ادبی*،شماره٣.صص٦٢-٤٣.

٤ سيدي، سِد حسِن، «تحليل انتقادی تاريخ ادبيات نگاری»،*مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية و آدابها*،العدد١٤.صص١١٨-١٠٣، ١٣٨٩.

٥ زيغمي، خالد، منهج التأريخ الأدبي و خلفياتها النظرية خلال القرن العشرين، أطروحة الدكتوراه، الجزاير : جامعة محمد لمين دباغين جامعة سطيف ٢ ، ٢٠١٦.

-كياني و محمدي(٢٠٢١م) استهدف هذا البحث إلى استخراج المؤشرات المشتركة للمنهج الزمني في أمهات كتب تاريخ الأدب العربي وهي كتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان، و«تاريخ الأدب العربي» لعمر فروخ، و«تاريخ الأدب العربي» لشوقي ضيف، و«الجامع في تاريخ الأدب العربي» لحنا الفاخوري التي دوّنت على أساس المنهج الزمني. وأخيراً وصل البحث إلى أنّ هذه الكتب الأربعة تعتمد على المؤشرات المشتركة التي يمكن حصرها في التقسيم السياسي، والمقدمات التاريخيّة، وميزة العصر، والتراجم ووصل إلى أنّ هذه الكتب الثلاثة تسير في تاريخ الأدب وتقسيمه على ما سار عليه أول الكتاب الذي ألّف على أساس المنهج الزمني، فما جاء بعد كتاب زيدان من كتب في تاريخ الأدب العربي لايخرج عما ورد في كتاب جرجي زيدان من مؤشرات وأنّ التأليف في مادة تاريخ الأدب يسير سيراً صعودياً كلّما تتقرّب هذه الكتب الثلاثة من العصر الراهن و يزداد فيها الاهتمام بالتحليل والتعليل والتفسير.[١]

هذه الدراسات أمدتنا ببعض الأفكار والمعلومات الرئيسية التي لا غنى عنها، وأمّا ما بصدده هذا البحث فهو دراسة ثلاثة الكتب المختارة التي ألّفت معتمدة على أساس المنهج الزمني، وكشف عن إشكالية المنهج الزمني فيها، وتبيين المناهج المساعدة التي قد دخلت في هذه الكتب الثلاثة فضلاً عن المنهج الزمني، وتبيين ما ورد من الإشكاليات في المناهج المساعدة.

١-٣-أسئلة البحث

هذا البحث يحاول الإجابة عن هذه الأسئلة:

- ما هي إشكالية المنهج الزمني في هذه الكتب الثلاثة؟
- ما هي المناهج المساعدة التي استمدت منها هذه الكتب تجاه إشكالية المنهج الزمني؟
- ما هو مدى توفيق هذه الكتب في حلول هذه الإشكالية؟

١-٤-منهج البحث

يتبع البحث المنهج الوصفي في الجانب النظري والمنهج الاستقرائي الكامل وتحليل المحتوى الكيفي في الجانب التحليلي حيث تم تكوين البحث وتم تحليله وفقاً للمراحل التالية:

١-مرحلة التوصيف: حيث تمّ في هذه المرحلة معتمداً على المنهج التوصيفي، التعرف على المناهج في دراسة تاريخ الأدب العربي، والمنهج الزمني.

٢-مرحلة التحليل: تأسيساً على المنهج الاستقرائي الكامل-المنهج الذي يهتم بقراءة كافة المعلومات حول جزئية البحث قبل إصدار القرار العام حولها ويساهم في تقديم نتائج دقيقة وصحيحة. درس البحث كل مجلدات هذه الكتب الثلاثة ثمّ اعتمد على منهج تحليل المحتوى الكيفي الذي كشف لنا مواطن القوة والضعف فيها ويمكننا من إعطاء وصف دقيق لإشكاليات المنهج الزمني فيها ولما يتضمّنه كل مجلدات هذه الكتب الثلاثة من المناهج المساعدة. بعد استخراج إشكاليات المنهج الزمني فيها واستخراج المناهج المساعدة قمنا بتحليلها وكشفنا عمّا ورد من الإشكاليات في المناهج المساعدة.

---

١ كيانى و محمدى(٢٠٢١) المؤشرات المشتركة للمنهج الزمني في مدونات تاريخ الأدب دراسة و نقد في أمهات كتب تاريخ الأدب العربي،مجلة مركز بابل للدراسات الأنسانية، المجلد ١١، العدد١، صص ١٥٧-١٨٦.

أما السبب في اختيار هذه الكتب الثلاثة فهو أنّها من أشهر الكتب التي تؤرخ للأدب العربي حسب المنهج الزمني وأنّها حاولت أن تخرج من مآزق المنهج الزمني الذي يجعل الأدب يتبع في تاريخه التاريخ السياسي حيناً بعد حين.

٢-إشكالية البحث

ظهرت مناهج في مجال تدوين تاريخ الأدب العربي وحاولت دراسة تاريخ الأدب في حضن التأثر بمناهج درس الأدب في الغرب؛ منها **المنهج الإقليمي** الذي يرى أنّ لكل قطر خصائص جغرافية ومادية ومعنوية تسم أدبه، وتميزه من آداب الأقطار الأخرى و**المنهج الثقافي** الذي همّه الأول دراسة الأدب في إطار الثقافة التي صنعت أفكاره وصوره ومشاعره و**منهج الجنس** الذي أساسه الفروق بين الأجناس البشر، وتعليل الظواهرالأدبية التي يمتاز بها أديب من أديب بعوامل وراثية **ومنهج الفنون الأدبية** الذي يقسم الأدب إلى أغراض وموضوعات كالغزل والوصف والرثاء ثمّ تدرس كل غرض منها دراسة مستقلة و**المنهج الزمني** الذي يقسم الأدب إلى عصور توازي العصور السياسة، ويحاول أن يجعل كل عصر من عصور الأدب متميزاً بسمات خاصة و**منهج المذاهب الفنية** الذي غايته أن يصنف الأدباء من كتاب وشعراء في مذاهب متباينة كالمذهب الأتباعي والمذهب الإبداعي، وأن يكشف عن السمات التي يشترك فيها أتبّاع كل مذهب.[١]

أمّا المنهج الذي قد غلب على مناهج تاريخ الأدب العربي فهو المنهج الزمني. يقسّم هذا المنهج الأدب إلى عصور توازي العصور السياسية وهو منهج يصنف حالياً في المناهج التقليدية التي توصف– في العادة – بأنّها تقارب النص الأدبي من الخارج ويعرف بأنّه المنهج الّذي يتّخذ من حوادث التاريخ السياسي وسيلةً لفهم الأدب ودرسه وتحليل ظواهره المختلفة.[٢] يرى المنهج الزمني أنّ الطابع السياسي لازم لفهم الأدب وتفسيره، لهذا يتّخذ منه وسيلة لفهم الأدب وتفسير خصائصه واستجلاء غموضه. والآداب في نظر مؤرخيه لا تعدو أن تكون مرآة تجلو حال الأمة التي أبدعتها. وآية ذلك عندهم، أنّ النصوص الأدبية تحمل طابع السياسة والاجتماع، وأنّ كلّ ما يحدث فيهما من تقلّب وتحوّل يبدو على صفحتها واضحاً، ثمّ إنّ الحدث السياسي، في ما يرى أصحاب هذا المنهج، كفيل، في حدّ ذاته، بنقل الحياة الاجتماعية من حال إلى حال، وبما أنّ الأدب يتبع الاجتماع في كلّ ما يمرّ به من أطوار الرقي والانحطاط، فإنّ الحدث السياسي أيضاً ينقل الآداب من حال إلى حال.[٣]

قام بعض من الباحثين بدراسة عيوب هذا المنهج و جمعها فيما يلي:

– إنّه يؤكد على صلة الأدب بسياسة السلطة الحاكمة ولايهتم بتأثيره على السياسة.

– إنّه يجعل الأدب ظلاً من ظلال السياسة، هذا يعني أنّ المنهج الزمني لا يكتفي بأن يكون الأدب وثيق الصلة بالسياسة، لكنّه يجاوز ذلك ليكون مطابقاً لها من نحو، تابعا لها من نحو آخر.

---

١ ينظر: طليمات، غازي، وعرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي(الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة)، ط١، دارالفكر، دمشق، ٢٠٠٧، ص٣١.

٢ قصّاب، وليد، مناهج النقد الأدبي الحديث، د.ط، دارالفكر، دمشق، ٢٠٠٧، ص٢٣.

٣ الواد، حسين، في تاريخ الأدب مفاهيم و مناهج، ص١٤١.

– يقف عند القمم الشامخة في كلّ عصر، ولا يعتني بالأدباء الذين لم يكن لهم حضور سياسي أو لم يرتبطوا بالسلاطين والحكام.

– إنّه ينظر إلى الأدباء نظرة جزئية ويعالج أدب الأديب في قصيدة واحدة أو في بيت واحد.

– إنّه يقوم على استقراء ناقص ويعتمد على الحوادث البارزة والظواهر الفذة.

– إنّه يصدر طائفة من الأحكام العامة تنسحب على انتاجات العصر كلّه.

– إنّه لم يهتم بالمكان وينسى إلى حد بعيد الأساس المكاني ويغمض الطرف عن الفروق الكبيرة بين الأرض الصحراء والجنة الفيحاء، وبين الإقليم المجدب والإقليم المخصب، وبين الأرض التي عاش فيها العرب فاتحين والأرض التي عاشوا فيها وادعين.

– إنّه يهمل نوازع الأدباء الفردية وبواعثهم الشخصية ويتخذ العصر وحده، فيقاس عليه شعراءه وخطباءه وكتابه، فما وافق القياس يرضى عنه، وما خالف القياس لم يحاول أن يعني به.[١]

فضلاً عن هذا، فإنّ المنهج الزمني لايعني بالناحية الفنية في النص ولا يهتم بقيمته الشعورية وجوانبه الجمالية، و بالقارئ وبأفق انتظاراته وبتغيير معنى الأدب، ولا يتطرق إلى الأدب الشعبي وأدب النساء وأدب الطفل و...، ولا يعتني بتقليد أو اقتباس الشعراء بعضهم بعضاً، ولا يهتم بالأدب الإسلامي أي أدب صدر الإسلام، كذلك يبدو أنّ المنهج الزمني لايحقق المنهج السليم في تدوين تاريخ الأدب.

الوعي بمسألة المنهج في هذه الكتب الثلاثة جاء متفاوتاً، يكشف زيدان عن منهجين في مقدمة كتابه قائلاً: ترددنا كثيراً في الخطة التي نتخذها في تقسيم هذا الكتاب بين أن نقسمه حسب العلوم أو حسب العصور ومعنى قسمته حسب العلوم أن نستوفي الكلام في كلّ علم على حدة من نشأته إلى الآن، علي أن نبدأ بأقدمها فنذكر تاريخ الشعر مثلاً وتراجم الشعراء وما تقلّب على الشعر من أوّل عهده إلى الآن. أمّا قسمته حسب العصور فيراد بها الكلام من أحوال العلوم معاً في كلّ عصر علي حدة وهذا الذي اخترناه[٢]، عرض للقارئ منهجين واختار أحدهما دون أن يبين أسباب الاختيار. أمّا شوقي ضيف فقد نهج في تاريخه للأدب، المنهج الزمني لكن تقسيمه للعصور الأدبية، يتميز ممن اتبعوا المنهج الزمني في دراسة تاريخ الأدب العربي، لأنّه فضلاً عن الزمان يهتم بالمكان ويظهر ذلك في عصر الدول والإمارات وهو يعبّر عن هذا قائلاً: ولا أشكّ في أنّ هذا التقسيم الجديد لعصور الأدب العربي أكثر دقة ومطابقة لتطوره وللظروف المختلفة التي أثرت فيه فإنّ بغداد لم تعد منذ القرن الرابع الهجري تحتل المكانة الأولي في الحركات الأدبية، بل لقد نافستها في الشرق والغرب مدن كثيرة تفوقت عليها في النهوض بالشعر والنثر تفوقاً واضحاً[٣]فهو يؤكدّ أنّ منهجه منهج جديد مبنياً على تقلّب الأحوال السياسية والإقليم ولهذا يختلف عن منهج المؤرخين الآخرين في التاريخ للأدب العربي. أمّا حنا الفاخوري فلم يتحدّث عن منهجه في كتابه إلّا أنّه يقوم بتقسيم تاريخ الأدب معتمداً على الناحتين: ناحية أصالة اللغة العربية وناحية علاقة الأدب بالبيئة السياسية.

ولاشكّ أنّ تاريخ الأدب شديدة الصلة بالتاريخ السياسي، وأنّ بين الأدب والتاريخ السياسي صلات من القربى، لكن مهما يكن من تداخل السياسة والأدب ومن تمازجها، فإنّ ذلك كلّه لا يقنعنا بصواب هذا الذي اصطنعه هؤلاء إذ اعتمدوا على تقسيم تاريخ الأدب تقسيماً سياسياً وعلى تبعية الأدب ومطابقته بالسياسة لأنّ الأدب ليس علماً

١ فيصل،شكري، مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي عرض و نقد و اقتراح، ص٤١-٣١.

٢ زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية(أ)، ط١، دارالفكر، بيروت، ١٩٩٦، ص٧.

٣ ضيف، شوقي،تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط١، منشورات ذوي القربى، قم، ١٤٣١، ص١٥

يسهل على الناس تغييره بقيام دولة وسقوط دولة، وإنّما هو ثمار للنفوس، ونتاج للعواطف والعقول، فلابدّ من أن تمرّ عليها حقبة من الزمن لينسلخ من ماضيه، أو لينسلخ عنه ماضيه ولقد يتأبى الماضي على أن ينسلخ كلّه، فتبقي منه آثار ومظاهر تبدو في انتاج الأدباء عن قصد وعن غير قصد.[١] بالتالي الحياة السياسية لا تصلح مطلقاً لأن تكون مقياساً للحياة الأدبية، وإنّما الحياة السياسة كغيرها من المؤشرات، كالحياة الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية تبعث النشاط في الأدب حيناً وتضطره إلى الجمود حيناً. اعتماد هؤلاء المؤرخين الثلاثة على المنهج الزمني ساقهم إلى ألوان من المشاكل التي يمكن حصرها في الاختلاف في عدد العصور ومدتها، والحدود بين العصور، وعدم الاهتمام بالعصر الإسلامي، وعدم الاهتمام بتأثير الأدب على السياسة.

٣- المناهج المساعدة

هذه المشاكل والقضايا الموجودة في هذا المنهج لقد تفتّح فكر هؤلاء المؤرخين الثلاثة وفهموا أنّ هذا المنهج، لم يستطع أن يقوم وحده بأعباء الدراسة ويفي بحق المنهج الصحيح في تاريخ الأدب، لهذا سعوا نحو مناهج أخري خلال هذا المنهج.

رغم الإقبال الكبير الذي حظي به المنهج الزمني في التأليف من قبل هؤلاء المؤرخين الثلاثة، فإنّه يستهدف بجملة من الانتقادات التي سبقت، وهذه الانتقادات كانت هي المنطلق والحافز لهؤلاء المؤرخين ولقد تفتح فكرهم فوجدوا أنّ هذا المنهج لم يحقق هدف الدراسة، لهذا بحثوا عن أساليب أشمل وأدق ومناهج أخرى خلال هذا المنهج الذي قد سيطر على كتبهم.

٣- ١ المنهج الإقليمي

أصحاب هذا المنهج يذهبون إلى أنّ الأفكار، والمعاني والألفاظ التي يستعملها الأديب ليست في أصولها إلّا هبة من هبات البيئة التي يعيشها الأديب ويقولون: « من الطبيعي أنّ الإحساس الأدبي بالأثر الإقليمي إحساس يشارك فيه الناس جميعاً، فالأديب أيضاً يحسّ أنّه مدين بهذه الحياة المادية إلى كلّ هذا الذي يحيط به من أرض وهواء وماء، وأنّه مدين في حياته المعنوية إلى ما يراه ويتأثّر به. إنّ عاطفته تقتبس من بعض هذه العواطف التي تضطرم حوله، وإنّ أخيلته لتصوغ جناحيها من هذه الأشياء التي تتوارد على عينه، وإنّ أفكاره خلاصة معقدة متشابكة لما يقع في ساحة إحساسه »[٢] إذن المنهج الإقليمي يقوم على رصد أثر البيئة ويدعو إلى الوقفة عند الخصائص البيئية ودراستها وفهمها ويعتقد بأنّ لكلّ قطر خصائص تسمّ أدبه، تميزه من آداب الأقطار الأخرى.

فهذا جرجي زيدان مع أنّه لقد هيمن المنهج الزمني على كتابه، ومع أنّه يقرّر اختيار المنهج الزمني في مقدمة كتابه، استطاع حيناً أن ينطلق من حدود هذا المنهج و يعتمد على المنهج الإقليمي، زيدان يقسّم الشعراء في العصر الجاهلي بالنسبة إلى القبائل أو يقسّم هؤلاء الشعراء بالنسبة إلى الأقاليم وتأثير الأقاليم في قرائحهم قائلاً: من القواعد الثابتة في علم الطبيعة أنّ للإقليم تأثيراً في أخلاق الناس وأبدانهم، فيختلفون صحة ونشاطاً وبديهة وذكاء باختلاف الإقليم. ويقال على الإجمال إنّ أهل البادية أصفى ذهناً من سكان المدن، وأهل البلاد الباردة أسرع حركة ونشاطاً من أهل البلاد الحارة. وفي البلد الواحد يفضّل أهل الجبال على أهل السهول نشاطاً وصفاء ذهن. وعلى هذا القياس

١ الحوفي، أحمد محمد، أدب السياسة في العصر الأموي، ط٦، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٥.

٢ فيصل،شكري، مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي عرض و نقد و اقتراح، ص ١٦.

فإنّ سكان نجد أقوى بنية وأصفى ذهناً من سائر سكّان جزيرة العرب لأنّها بلاد جبلية هواؤها نشيط ونسيمها عليل[١] فضلاً عن العصر الجاهلي يتحدّث زيدان عن الشعراء في العصر العباسي الرابع ويقسّمهم حسب مواطنهم إلى سبعة أقسام: شعراء مصر، والشام، والعراق والجزيرة، وفارس، والأندلس، والمغرب والجزيرة الأدبية. ويقسّم الشعراء في العصر المغولي حسب مواطنهم إلى شعراء مصر والشام وإلى شعراء خارج مصر والشام. كلّ هذا يدلّ على أنّ زيدان لا يلتزم بمنهج واحدٍ بل يزاوج بين المنهج الزمني و الإقليمي.

قسّم شوقي ضيف العصور الأدبية إلى أربعة أقسام، يبدأ أوّلها في العصر الجاهلي، في حين ينتهي القسم الأخير في عصر الدول والإمارات. لكنّه لم يكن المنهج الزمني هو المنهج الوحيد الذي أخذ به. استعمل شوقي ضيف إلى جانب المنهج الزمني مبدأ المنهج الإقليمي، إذن فهو يصنف كتابه على أساسين زماني ومكاني معاً، واتضحت فاعلية هذين الأساسين في «عصر الدول و الإمارات» أكثر من غيره من العصور. في عصر الدول والإمارت تفكّك الدولة العباسية، وظهر إمارات وخلافات متعددة، في مختلف أنحاء العالم العربي؛ فقد قسّم شوقي ضيف الإنتاج الأدبي الذي قدّمه ذلك العصر تقسيماً مكانياً فجعل من الجزيرة العربية والعراق وإيران قسماً واحداً، بينما جعل من مصر والشام والأندلس أقساماً أخرى منفردة، ووضع ليبيا وتونس وصقلية في قسم موحد، كذلك فعل مع الجزائر والمغرب الأقصى وموريتانيا وسودان. مع كلّ هذا فإنّه يؤكد على أنّ ثمة وحدة فكرية وشعورية وروحية تجمع البيئات العربية المختلفة في المراحل التي قام بتأريخها من حياة الأدب العربي إذ كان بين شعوب هذه البيئات تواصل مستمر أشبه بتواصل ذوي الأرحام، تواصل في العادات والتقاليد المعيشة والدين، بل اتحاد فيها جميعاً، اتحاد في الشعور والفكر، واقرأ في شعر أي دولة أو إمارة واقرنه إلى شعر أي إمارة أو دولة أخرى فإنّك ستشعر أنّك لم تنتقل من بلد إلي بلد ولا من دار إلى دار، وإن وجدت بعض الفروق فهي طفيفة لا تحدث فواصل بين الشعراء الدارين أو البلدين. واستشعر أسلافنا ذلك في عمق، فكانوا إذا ألّفوا كتاباً في الشعر ساقوا فيه شعراء العالم العربي جميعاً، فقطعة شعرية عراقية بجانب قطعة إيرانية أو موصلية أو شامية أو مصرية أو مغربية...وكأنّه جميعاً شعر بلد واحد لم تختلف عليه أوطان ولا أزمان.[٢] إذن يلمح ضيف هذا الأثر الإقليمي و يبدو له هذا الأثر و يقدّم ذلك التصور ليؤكّد أنّ تصنيفه لعصر الدول و الإمارات لا ينفي لعناصر التواصل بين بيئات الأدب العربي إلّا أنّه عندما يعالج عصر الدول والإمارات لا يغمض عيونه على المنهج الزمني بل يجمع بين العاملين الزماني والمكاني معاً.

أما حنا الفاخوري فاستطاع أن ينطلق حيناً من حدود المنهج الزمني، لكنّه سرعان ما يعود إليه. عقد الفاخوري في عرض حديثه عن الأدب الأموي، فصلاً عنوانه «الحياة الجديدة وأثرها في الأدب»، فيتحدّث عن البيئات وما يكون من أثرها في الأدب والطبيعة الفنية ويرى أنّ البيئة تكون مسرح الحياة الأدبية والعلمية. ويقول في حديثه عن البيئات: أنّ البيئة من العوامل المختلفة التي كان لها تأثير في الأدب وتوجيهه ولاسيما في عهد بني أمية.[٣] و ينحصر البيئة في هذا العصر بنوع خاص في الحجاز، ونجد، والعراق والشام ويرى أنّه فقد امتاز أهل كلّ بيئة من بلاد العرب بباب من أبواب الشعر. على سبيل المثال فاشتهر أهل الحجاز بالرقة والثراء والغناء، فأكثر شعرهم الغزل. وكثر في العراق النضال، والثورات، والعصبية القبلية والخصومة السياسية بين الأحزاب والفرق، لهذا اتخذ

١ زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية(أ)، ص٦٦.

٢ ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات مصر، ط١، منشورات ذوي القربى، قم، ١٤٢٨، ص٦.

٣ الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، ط٣، منشورات ذوي القربى، قم، ١٤٢٧، ص٣١٢.

الأدب في العراق صبغتين: صبغة الخصومة السياسية وصبغة الخصومة القبيلة.[١] إذن فهو يعتمد على المنهج الإقليمي لتفسير الأدب وفنونه.

٣- ٢منهج الفنون الأدبية

من الواضح أنّ هذا المنهج في تاريخ الأدب العربي سيتيح لنا تتبّع الفنون الأدبية مع الزمن ودورانها مع العصور، وسينتقل بنا عبر الماضي فيتناول فناً من فنون الأدب أو ظاهرة من ظواهره منذ نشأتها الأولى؛ ثمّ يمضي بها في مراحلها المختلفة، فيلمح رقيها وانحطاطها[٢] إذن هذا المنهج باستعراضه لحياة أي فن أدبي أو غرض فني بصورة دقيقة، يجلو جوانب الكمال وملامح الجمال ويرصد نقاط الضعف والنقص وهو فوق ذلك يكشف عن صلة ذلك الفن أو ذلك الغرض بسائر الفنون والأغراض. أخيراً فهو يؤهّل المؤرخ لأن يقف على تأثّر الأدباء بعضهم ببعض. فأصحاب هذا المنهج يعتقدون أنّ الأدباء لا يخلقون شيئاً من عدم، وأنّ الابتكار أو الإبداع لا يعدو أن يكون تصرّفاً في ما هو موجود بعد، وعلى مقدار الحذق في هذا التصرّف تكون منزلة الأديب راقية أو منخفضة قياساً على السلف.[٣]

شوقي ضيف إلى جانب المنهج الزمني والإقليمي يستعمل منهج الفنون الأدبية فيقسّم الشعراء في العصر الأموي إلى ستة أقسام : شعراء الغزل الصريح، وشعراء الغزل العذري، وشعراء الزهد، وشعراء اللهو والمجون، وشعراء الطبيعة والرجاز. وهذا التقسيم يعني التقسيم على أساس الفنون الأدبية متوفّر في تاريخ شوقي ضيف لكل عصور الأدب العربي، أمّا التقسيمات الأخرى الثانوية فهي تأتي في بعض العصور دون الأخرى. كلّ هذا يدلّ على أنّ ضيف كان يستوحي أكثر من منهج، وكان يمضي في أكثر من طريق في دراسة الظواهر الأدبية، وأنّه كان واسع النظرة، متسع الأفق. ويبدو لنا أنّ بعض كتابات شوقي ضيف النظرية تكشف عن أنّه طرح هذا الفهم في دعوته إلى ما سمّاه المنهج التكاملي؛ فبعد أن عرض مختلف المناهج التي استخدمت في الدرس الأدبي والنقدي إلى بداية السبعينات رأى أنّ البحث الأدبي أعقد من أن يخضع لمنهج معين، أو قل إنّه لا يمكن أن يحتويه منهج بعينه ولذلك كان على الباحث أن يفيد من هذه المناهج والدراسات جميعاً، وهو ما نسميه بالمنهج التكاملي، حتّي تتكشف له جميع الأبعاد في الأديب والآثار الأدبية.[٤] وآية هذا كلّه أنّ ضيف خضع للمنهج الزمني وتمرّد عليه، عاش في نطاقه وانطلق من إطاره واستطاع بما أوتي من الصلة بالدراسات الأجنبية أن يزاوج بين أنواع من المناهج، إلّا أنّه لم يكن يسرف في الخروج عن المنهج الزمني.

٣- ٣ منهج الجنس

ينظر إلى الأدب في كل عصر على أنّه ثمرة من ثمرات الجنس وهو منهج أساسه الفروق بين أجناس البشر، وتعليل الظواهر الأدبية التي يمتاز بها أديب من أديب بعوامل وراثية عرقية.[٥] إنّ ضيف قد يجد أنّ الاعتماد على منهج واحد قد لا يجدى في تحليل الظواهر الأدبية وهذا الأمر قد قاده إلى إعادة استخدام بعض المناهج على نحو

---

١ المرجع نفسه، ص ٣١٥-٣١٢.

٢ ينظر: فيصل،شكري، مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي عرض و نقد و اقتراح، ص ٨١-٧٧.

٣ الواد، حسين، في تاريخ الأدب مفاهيم و مناهج، ص١٧٢-١٧١.

٤ ضيف، شوقي، البحث الأدبي طبيعته.مناهجه.أصوله.مصادره، ط٧، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٣٩.

٥ طليمات، غازي، و عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياه ، أغراضه – أعلامه – فنونه، دار الفكر آفاق معرفة جديدة، دمشق، ٢٠٠٧، ص ٣١.

ما يتبدي في استخدامه لمنهج الجنس في تفسير بعض الظواهر البارزة في شعر العصر العباسي الأول، إذ ردّ كثيراً من مظاهر الخلاعة والمجون والمبالغة في تحلل الخلقي إلى الجنس الفارسي. وفي تاريخه للعصر العباسي الأوّل فهو يتابع التحولات التي طرأت على نمطي الغزل ويرى أنّ تيار الغزل الصريح كان أكثر انتشاراً، ويعلّل ذلك بانتشار دور النخاسة وما كانت تمتلئ به من جوار يعدن إلى أصول مختلفة غير عربية. وغلبة الشعراء من الموالي الذين نبذوا التقاليد الخلقية الإسلامية والعربية، إمّا بعامل الزندقة والشعوبية. وإمّا بعامل الترف وما ينتشر معه من فساد الأخلاق.[١] وهو يكرّر وصفه لشعراء المجون من ذوي الأصول الفارسية بأنّهم ورثوا حدة المزاج الفارسي على سبيل المثال يتحّدث عن بشّار قائلاً: طبيعة بشار لم تكن بسيطة ولا ساذجة، بل كانت معقدة، فقد كان فارسي الأصل، وورث عن الفرس حدة في المزاج، وقد تأثّر بالحضارة الفارسية المادية وازداد تأثره اتساعاً كما تزداد ثورته على العرف والخلق والدين الحنيف، حتّى لتتحوّل في بعض جوانبها إلى صياح وعجيج وضجيج.[٢] إذن فيعتمد شوقي ضيف على منهج الجنس في تفسير بعض الظواهر البارزة في الشعر العباسي. لأنّه يعتقد بأثر الجنس في الأدب فينتهي إلى تعليل كثير من الظواهر الأدبية واللغوية بهذا العامل.

٣- ٤ منهج المذاهب الفنية

هذا المنهج يصف الخصائص الفنية في جماعة من الأدباء أو جماعة من الشعراء الذين نهجوا مسالك متوازية واستطاعوا في نتاجهم الأدبي أن يكون لهم من سمات ما يوحد بينهم. بالتالي هذا المنهج يقوم على الوحدة والانسجام في أدقّ معاني الوحدة وأكمل صور الانسجام، فهو يحاول أن يدرك خيوط هذه الصلة العميقة بين الشاعر والشاعر وبين الكاتب والكاتب. إذن فهذا المنهج لن يقف عند التقاء شاعرين على معنى واجتماع ناثرين على أسلوب، بل يتعمق ماوراء ذلك فيلمح الخصائص الفنية الذاتية التي يشترك بها هؤلاء الأدباء ويجعل منها وحدها السمط الذي يؤلف بينهم ومن هنا هذا المنهج مضطر أن يهجر الدراسة السطحية والشكلية بين الأدباء لينبش عن التقارب الداخلي والفني والعميق.[٣] حنا الفاخوري فعل شيئاً يشبه فعل أصحاب منهج المذاهب الفنية حين يتحدّث عن الشعراء في العصر العباسي فيقسّمهم حسب مذاهبهم إلى شعراء الثورة التجديدية وشعراء النيوكلاسيكية. أمّا مع كلّ هذا فيجد المتأمّل أنّ حنا الفاخوري الذي لمح إلى منهج المذاهب الفنية في تقسيم العصر العباسي لم يغمض عيونه عن المنهج الزمني في هذا العصر. وقد يبدو أنّه أدار الحديث حول محورين من المذاهب الفنية ومن التقسيم الزمني. وكلّ هذا يدلّ على أنّ حنا الفاخوري استطاع في إطار هذا المنهج الزمني الذي هيمن على كتابه أن يشكّك به، شكّك به حين أشار في العصر الأموي إلى دراسة الأقاليم والبيئات وشكّك بها أخيراً في حديثه عن العصر العباسي حين لمح إلى منهج المذاهب الفنية.

---

١ سليمان أحمد، سامي، "شخصية العدد: التوفيقية و المشروع دراسة تاريخ الأدب العربي عند شوقي ضيف"، فصول، ٢٠٠٥، (٦٧)، ٣٨٠-٣٥١، ص٣٥٧.

٢ ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ط٣، منشورات ذوي القربى، قم، ١٤٣١، ص٢٢٠-٢٠٧.

٣ فيصل،شكري، مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي عرض و نقد و اقتراح، ص ١٣٣.

٤- تحديات المناهج المساعدة

لقد حاول كل من جرجي زيدان، وشوقي ضيف وحنا الفاخوري أن يخرجوا عن ذلك المنهج الذي يجعل الأدب يتبع في تاريخه التاريخ السياسي حيناً بعد حين، وتمسكوا بالمناهج المساعدة ولكنّهم وقعوا في مخاطر أخرى يمكن حصرها في ما يلي:

لعلّ أبرز القضايا في العمل بالمناهج المساعدة ومنها منهج الفنون الأدبية، أنّه يصطدم بأولئك الأدباء الذين تركوا مصنفات كثيرة في فنون الأدب والعلم، فيحار المؤرخ أين يضعهم. ولقد كان زيدان وضيف يشعران بهذه القضية. فأكّد زيدان في أكثر من مناسبة، أنّه إنّما يصنّف الأعلام في المواضيع التي غلب عليها انتاجهم أو التي اشتهروا فيها أكثر من شهرتهم في غيرها. من ذلك مثلاً استهلّ تعريفه بلغوي العصر العباسي الثاني بقوله: قد يعدّ لغويو هذا العصر أيضاً من النحاة أو الأدباء، ولكنّنا أفردناهم لاشتغالهم على الأكثر باللغة ويرى أنّ أدباء هذا العصر يجوز عددهم من النحاة لأنّهم اشتغلوا في النحو.[١] وعلى هذا الأساس يجعل ابن زيدون في ذيل علماء اللغة في العصر العباسي الرابع مع أنّه كان شاعراً من أشهر الشعراء الأندلسيين ومع أنّه نفسه يعترف بهذا عندما يقول: كان يصح أن نعد ابن زيدون من الشعراء لولا اشتهاره بالإنشاء والأدب.[٢] وأيضاً يجعل قس بن ساعدة بين الشعراء الحكماء مع أنّه كان خطيباً وأكثر شهرته كان لخطبه ولا يأتي بنموذج من خطبه بل يأتي بنموذج من شعره الذي يؤخذ من خطبه. شوقي ضيف أيضاً يذهب إلى مثل ما ذهب إليه جرجي زيدان عندما يجعل ابن أبار بين الشعراء الأندلسيين مع أنّه كان أديباً ومؤرخاً وعالماً بالتاريخ ومع أنّه يعدّ في الذروة من مؤرخي الأندلس وعلمائها. فضلاً عن هذا في بعض الأحيان يحار جرجي زيدان كثيراً ولا يجد أي فن من فنون الأدب لكي يجعل بعض الشعراء في ذيله. هو يأتي بعنوان باسم «سائر الشعراء» ويجعل هؤلاء الشعراء في ذيل هذا العنوان كما جعل بعض شعراء العصر الجاهلي في ذيل عنوان «سائر الشعراء الجاهليين» وهو يتحدّث عن هذا قائلاً: بقيت طائفة من شعراء الجاهلية لا يدخلون في باب من الأبواب التي تقدمت، وإن كانت كثيراً ما تختلط أغراضها...إذ لا يتفق شاعر أو بضعة شعراء بالحكم أو الفخر أو الوصف أو الهجاء دون سواها. ولكنّنا جمعنا المتقاربين في بعض تلك الأغراض ليسهل تعليقهم بالذاكرة، وبقي جماعة منهم لا يجتمعون في باب.[٣] إذن فالاعتماد على الشهرة في فن من الفنون لتصنيف الأدباء والشعراء والكتّاب لم يكن ليحلّ القضية دائماً، من ذلك مثلاً أنّ زيدان اعتبر أباحنيفة النعمان من فقهاء العصر العباسي الأول وعرف به على ذلك. إلّا أنّه جاء به مرة أخرى في ذيل علماء الكلام في العصر العباسي الثاني. وأيضاً جعل قدامة بن جعفر في ذيل أدباء العصر العباسي الثاني، إلّا أنّه كتب متحدثاً عن مؤلفه «كتاب الخراج» سيأتي ذكره في الكلام على الجغرافية.[٤] شوقي ضيف أيضاً كجرجي زيدان يعالج بعض الشعراء والكتّاب أكثر من مرة. على سبيل المثال يتناول أشعار أبي العلاء المعري ويجعله في ذيل شعراء الفلسفة والحكمة دون أن يشير إلى آثاره النثرية، بل يعالج هذه الآثار في ذيل الرسائل الشخصية والمتنوعة. بالإضافة إلى ذلك يعالج بعض الشعراء كالحصري أو الصفاقسي أو... أكثر من مرة، مرة في ذيل فن المديح ومرة ثانية في ذيل فن الفخر وثالثة في ذيل فن الحماسة. وكل هذا يدلّ على أنّ تقسيم الشعراء على أساس الفنون الأدبية يضطر مؤرخ

---

١ زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية(أ)، ص٢٠٦-١٩٩.

٢ زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية(ب)، ص٦٠.

٣ زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية(أ)، ص١٦٨.

٤ المرجع نفسه، ص ١٩١.

الأدب إلى التعريف بالأديب الواحد أكثر من مرة كما أنّه عرفّ زيدان بقدامة بن جعفر في الجزء الثاني من عمله باعتباره أديباً ثمّ باعتباره جغرافياً. والدراسة بهذه الصورة دراسة متكاملة من حيث الفن الأدبي نفسه قصة، أو مسرحية أو شعرا أو حكمة، أو مثلا إلى آخره، ولكنها مجزأة من ناحية مبدعها الفني، من حيث أن الأديب قد تنوع فنون الأدب عنه فيؤخذ عن القصة مرة، والمسرحية مرة أخرى والمقالة مرة ثالثة.[١] إذن فالتجزئة تعدّ من عيوب منهج الفنون الأدبية عند زيدان وضيف. وهذه التجزئة يعني أنّهما يدرسان نتاج الأديب بين الفنون المختلفة على سبيل المثال يدرسان شاعر في شعر المديح مرة، وفي وصف المعارك مرة، وفي الفخر حيناً وفي هذا الشعر الذي تغلب عليه صفة الحكمة حيناً آخر. ومن هنا هذا المنهج يفتت الشاعر ويمزّق نتاجه ولا يعطي صورة دقيقة للشاعر.

فضلاً عن التجزئة، هذا المنهج يضطر المؤرخ إلى إهمال بعض مؤلفات الأدباء التي لا تندرج في الفن الذي ذكر فيه أو إلى ذكرها في غير مواطنها الحقيقية من تاريخ الأدب. ولعلّ لسان الدين بن الخطيب أفضل مثال لهذه القضية، إذ جعله زيدان من مؤرخي العصر المغولي وذكر من مؤلفاته «السحر والشعر» و«أشعار وموشحات» و«ديوان الشعر» و... وهي كلّها مؤلفات أدبية لا صلة لها بالتاريخ.

تقسيم الأدباء على أساس المنهج الإقليمي لم يقدّم الحل السليم إلى جرجي زيدان وشوقي ضيف بل جعلهما في قضايا شائكة أخرى. على سبيل المثال شوقي ضيف يعالج المتنبي في المجلد الذي قد خصّصه للعراق بسبب أنّه ولد في هذا البلد مع أنّه قد مضي أكثر عمره في الشام وهذا الأمر قد يحمله على أن يتناول المتنبي مرة أخرى في المجلد الذي قد خصّصه للشام. ويكرّر هذا العمل لابن قلاقس الإسكندري ويعالجه في المجلدين من كتابه، المجلد الذي قد خصّصه لمصر والمجلد الذي قد خصّصه لصقلية، لأنّه ولد في مصر ورحل إلى صقلية. إذن هذا المنهج أيضاً كمنهج الأنواع الأدبية يضطر المؤرخ إلى التعريف بالأديب الواحد أكثر من مرة.

٥- نتيجة البحث وآفاقه

هذا البحث حاول أن يعالج إشكاليات المنهج الزمني في أمهات كتب تاريخ الأدب والمناهج المساعدة التي دخلت في الكتب المختارة الثلاثة.

إنّ اعتماد هذه الكتب الثلاثة على المنهج الزمني في تقسيمها لتاريخ الأدب العربي فقد أوقعها في قضايا عديدة وألوان من المشاكل؛ منها، الاختلاف في عدد العصور ومدتها بسبب عدم التطابق بين العصر الأدبي والعصر السياسي، وعدم الاهتمام بالعصر الإسلامي كما حقه ،جعل السياسة حداً لتمييز العصور الأدبية مع أنّه تتداخل العصوروتتشابك الآداب، والاهتمام بأثر السياسة في الأدب و تأثّر الأدب به تأثّراً انفعالياً، وإهمال أثر الأدب في السياسة وتأثرها به، وحمل قوة الأدب وضعفه على قوة السياسة وضعفها، وذكر خصائص متمايزة لكلّ عصر من عصور تاريخ الأدب التي تنتهي إلى طائفة من الأحكام العامة، والأحكام العامة لا تخلص من الخطاء.

إنّ هؤلاء المؤرخين بمجرد أن بدأوا في وضع كتبهم في تاريخ الأدب العربي أدركوا أنّ المنهج الزمني كثيرالمشاكل لهذا فاختاروا مناهج مساعدة ولكنّه قد كان لكل منهج من هذه المناهج قضايا كما كان للمنهج الزمني، وكان من ذلك أن توفرت في مؤلفاتهم معظم المناهج المتعارفة في تاريخ الأدب، لكنّه بشكل موجز خلال المنهج الزمني الذي هيمن على كتبهم، لكنّ تمسكهم بالمناهج المساعدة قد وقعهم في مخاطر أخرى يمكن حصرها في التجزئة، والإهمال والتكرار.

---

١ عبدالرحمن محمود، عبدالرحمن كامل، "الاتجاهات الحديثة في تدريس الأدب في المرحلة الثانوية"، بحث مرجعي مقدّم للجنة العلمية الدائمة للمناهج وطرق التدريس، الفيوم، مصر، كلية التربية، ٢٠٠٦، ص ٥.

القضايا المتوفرة في المنهج الزمني لقد تفتح فكر هؤلاء المؤرخين الثلاثة لكي يتمسكوا بمناهج أخرى وهي المنهج الإقليمي الذي تمسك به كل من جرجي زيدان و شوقي ضيف وحنا الفاخوري، ومنهج الفنون الأدبية ومنهج الجنس الذي التجأ إليهما شوقي ضيف في تاريخه ومنهج المذاهب الفنية الذي تمسك به حنا الفاخوري وحده.

رأى البحث أن يسلط الضوء على تاريخ الأدب ومناهجه بدراسة تعتمد على أكثر المؤلفات فيه شهرة لكي يتضحها. ومن خلال هذه الدراسة وصل البحث إلى أنّ هذه الكتب كثير المشاكل لاعتمادها على المنهج الزمني الذي قد أخذت به هذه الكتب الثلاثة، لهذا حاول أن يقترح اقتراحات، منها:

– عدم الاكتفاء بمنهج واحد في معالجة تاريخ الأدب العربي لأنّ الأدب أعقد من أن يخضع لمنهج معين.

– التصدي للجانب الإقليمي في دراسة الأدب ويجب أن يفسح المجال لدراسة أثر الأقاليم في الأدب ولا يقتصر دراسة الأقاليم على العاصمة.

– الاهتمام بكل الأدباء سواء كانوا من الأمراء أو الفقراء، ومن أهل القصور أو أهل الأكواخ.

–الانصراف عن الحكم إلى الوصف، لأنّ الأحكام غير قادرة على أن تحيط بالنتاج الأدبي كلّه وتفسره.

–دراسة الأدب الشعبي كالقصص والأساطير والأمثال، وأدب الطفل والاتجاهات التي قد تشكّلت بعيدة عن البلاط والخلفاء.

–الاهتمام بالقارئ ومعالجة أفق انتظاراته في العصور المختلفة، لأنّه يبدو حاضراً في الأدب.

– الانتباه إلى أنّ جمال الأدب ليس جمالا مطلقا، بل متحول متغير مع تحول المجتمعات.

– الاهتمام بالفرق بين اللونين من الدراسات الأدبية: الدراسة المساعدة والدراسة الأصلية.

المصادر و المراجع

١. أفضلي، علي، «نقد و بررسي دوره بندي سياسي تاريخ ادب عربي»،پژوهشنامه نقد ادبي،شماره٣.
٢. الحوفي، أحمد محمد، أدب السياسة في العصر الأموي، ط٦، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧.
٣. الرافعي، مصطفي صادق، تاريخ آداب العرب(أ)،ضبطه عبدالله المنشاوي و مهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، لا.ب، د.ت.
٤. زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية(أ)، ط١، دارالفكر، بيروت، ١٩٩٦.
٥. زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية(ب)، ط١، دارالفكر، بيروت، ١٩٩٦.
٦. زيغمي، خالد، منهج التأريخ الأدبي و خلفياتها النظرية خلال القرن العشرين، أطروحة الدكتوراه، الجزاير : جامعة محمد لمين دباغين جامعة سطيف ٢ ، ٢٠١٦.
٧. سليمان أحمد، سامي، "شخصية العدد: التوفيقية و المشروع دراسة تاريخ الأدب العربي عند شوقي ضيف"، فصول، ٢٠٠٥، (٦٧)، ٣٨٠–٣٥١.
٨. سيدي، سيد حسين، «تحليل انتقادي تاريخ ادبيات نگاري»،مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية و آدابها،العدد١٤،ص ١١٨–١٠٣، ١٣٨٩.
٩. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات مصر، ط١، منشورات ذوي القربي، قم ١٤٢٨.
١٠. ضيف، شوقي،تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط١، منشورات ذوي القربي، قم، ١٤٣١.
١١. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ط٣، منشورات ذوي القربي، قم، ١٤٣١.

١٢.ضيف، شوقي، البحث الأدبي طبيعته.مناهجه.أصوله.مصادره، ط٧، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٩٢.
١٣.طليمات، غازي، و عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياه ، أغراضه – أعلامه – فنونه، دار الفكر آفاق معرفة جديدة، دمشق، ٢٠٠٧.
١٤.طليمات، غازي، وعرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي(الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة)، ط١، دارالفكر، دمشق، ٢٠٠٧.
١٥.عبدالرحمن محمود، عبدالرحمن كامل، "الاتجاهات الحديثة في تدريس الأدب في المرحلة الثانوية"، بحث مرجعي مقدّم للجنة العلمية الدائمة للمناهج وطرق التدريس، الفيوم، مصر، كلية التربية.
١٦.الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، ط٣، منشورات ذوي القربي، قم، ١٤٢٧.
١٧.فيصل، شكري، مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي عرض و نقد و اقتراح، ط٦، دارالعلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦.
١٨.قصّاب، وليد، مناهج النقد الأدبي الحديث، د.ط، دارالفكر، دمشق، ٢٠٠٧.
١٩.كياني و محمدي، المؤشرات المشتركة للمنهج الزمني في مدونات تاريخ الأدب دراسة و نقد في أمهات كتب تاريخ الأدب العربي،مجلة مركز بابل للدراسات الأنسانية، المجلد ١١، العدد١،٢٠٢١.
٢٠.مريني، محمد، "التاريخ الاستشراقي للأدب العربي و إشكالية المركز و الهامش"، د.ت، المأخوذة من الموقع العنكبوتي التالي:http://aladab.minanblog.com/post/97 .
٢١.الواد، حسين، في تاريخ الأدب مفاهيم و مناهج، ط٢، دارالفارس للنشر و التوزيع، الأردن، ١٩٩٣.

References

1. Abdul Rahman Mahmoud, Abdul Rahman Kamel, “Modern Trends in Teaching Literature at the Secondary Level”, a reference paper submitted to the Permanent Scientific Committee for Curricula and Teaching Methods, Fayoum, Egypt, College of Education.
2. Afazli, Ali: A Review of Political Periods in the History of Arabic Literature, Literary Criticism Research, No. 3, pp. 62-43, 2012.
3. Alfakhori, H. Inclusive in the history of the old Arabic literature, Qom: Zoi Al-Qarabi,2006.
4. Al-Hofi, Ahmed Mohamed: Sassi’s literature in the Umayyad era, the printing house: Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, 2007.
5. Al-Rafi’i, Mustafa Sadiq, History of Arab Literatures (A), compiled by Abdullah Al-Minshawi and Mahdi Al-Bahkiri, Al-Iman Library.
6. Alwad, HIn the history of literature, Concepts and methods, Jordan: Dar Alfares Le Nashr Va tozye,1993.
7. Faisal, Sh. Curriculum literary study in Arabic literature, Beirut: Darol Elm Lelmalayin,1986.
8. Ghasab, Waleed: New Literary Criticism, Printing House: Daral Fakar, Damascus, 2007.
9. Kiyani and Mohammadi, Common indicators of a Political approach in the history of Arabic Literature: A study of the greatest books on the history of Arabic Literature ,journal of the Babylon Center for Human Studies, 2021.
10. Marini, Mohammad, "Orientalist history of Arabic literature and the problem of center and margin", taken from the following website: http://aladab.minanblog.com/post/97.

11. Seyyedi, Seyyed Hossein: A Critical Analysis of the History of Literature, Journal of the Iranian society of Arabic language and literature, No 14, pp. 118-103, 2011.
12. Suleiman Ahmad, Samy: A Study of the History of Arabic Literature by Shoghi Difi, No. 67, pp. 380-351, 2005.
13. Tulaimat, Ghazi and Erfan Alshqr: Jaheli (ignorance) literature, its history, goals, distinguished and techniques, printing house: Dar al-Ersad, Homs, 1992.
14. Tulaimat, Ghazi, and Irfan Al-Ashqar, History of Arabic Literature (Poets in the Age of Prophecy and the Rightly Guided Caliphate), Dar Al-Fikr, Damascus, 2007.
15. Zaidan, G. History literature of Arabic language, Beirut: Dar Al-Fikr,1996.
16. Zaidan, G. History literature of Arabic language, Beirut: Dar Al-Fikr,1996.
17. Zigami, Khaled, The Literary History Curriculum and Its Theoretical Backgrounds During the Twentieth Century, Doctoral Thesis, Algeria: Mohamed Lamine Debaghin University, Sétif University 2, 2016.
18. zaif, Sh, Literary Research: Its Nature, Methods, Origins, Sources, Dar Al-Maarif, Cairo, 1992.
19. Zaif, Sh. The history of Arabic literature, the age of governments and emirates (Egypt) Qom: Zoi Al-Qarabi,2007.
20. Zaif, Sh. The history of Arabic literature, the age of pre-islamic, Qom: Zoi Al-Qarabi,2010.
21. Zaif, Sh. The history of Arabic literature, the age of frist Abbasid, Qom: Zoi Al-Qarabi,2010.